



1985-11-15 📅

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

في الحياة الدنيا حق وباطل فقط ولا ثالث لهما :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ وصلنا في الدرس الماضي في سورة يونس إلى قوله تعالى : ﴿ قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَا تَصْرُفُونَ ﴾ .. ليس في الحياة إلا شيئين : حقٌّ وباطلٌ ، فإن لم يكن المرء على الحق فهو في الباطل ، في طعامه ، وفي شرابه ، وفي كسبه ، وفي زواجه ،



وفي عقيدته إن لم يكن مع الحق فهو مع الباطل ، ليس هناك مرتبةً ثالثة ، حق أو باطل ، وليس في

الأخرة مرتبةً ثالثة ، فو الذي بعث محمداً بالحق ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، أي الموقف حاسم ، يجب أن تتخذ قراراً مصيرياً ، إما أن تكون مع الحق ، وإن لم تكن كذلك فلا بد من أن تكون مع الباطل ، إما أن تحب المؤمنين ، وإن لم تكن كذلك فسوف تحب الفاسقين ، إما أن تكون سعيداً ، وإن لم تكن كذلك فلا بد من أن تكون شقيئاً ..

((عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة ، فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها ، فالناس رجلان رجل برّ تقى كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله والناس ، بنو آدم وخلق الله آدم من التراب قال الله : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُغُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .))

[ابن العربي: عارضة الأحرار: تصحيح، أخرجه الترمذي]

﴿ فَأَنَا تَصْرُفُونَ ﴾ إلى أين أنتم ذاهبون؟ ماذا في الدنيا؟ هل فيها غناء عن الآخرة؟ هل وحدها تسعد الإنسان؟ ﴿ فَأَنَا تَصْرُفُونَ ﴾ ، عندما يسير الإنسان في طريق مسدود ، أو طريق مهلك يقول له صاحبه المشفق عليه : إلى أين أنت ذاهب؟ هذا طريق الشقاء .

ثمن الحقيقة التجرد عن الهوى :

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هناك علاقة ترابطية كما يقولون ، الفاسق لا يؤمن ، وإن لم يكن الرجل مؤمناً فلا بد من أن يفسق ، أي كلا الطرفين يكون سبباً للآخر ونتيجة له ، **﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾** معنى فسقوا أي خرجوا عن أمر الله ، كل إنسان خرج عن أمر الله لن يؤمن ، لماذا ؟ لأنك إذا ناقشته سوف يدافع عن انحرافه ، لن يناقش الأمر مناقشة موضوعية ، لن يتجرد عن هواه ، مثلث بالهوى ، غارق في شهوته ، غارق في انحرافه ، إذا ما ناقشته فسوف يدافع عن انحرافه ، هذه فكرة أساسية .. **﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** .. الفاسق لا يؤمن ، لو أن إنساناً تلبس بالربا ، وحضر مجلس علم ذُكر فيه الربا وتحريمه ، قد يقول : هذا الأستاذ لا يعرف الحقيقة ، الربا الآن لا بد منه ، لماذا يرفض هذا المستمع هذه الحقيقة ؟ لأنه مثلث بها .

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2) ﴾

[سورة الماعون]

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرٌ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة الفصص]



لذلك : **﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** أي من القوانين الثابتة ، من سنن الله

في خلقه أن العاصي لا يؤمن ، المنحرف فاسق ، وأن الذي لا يؤمن لا بد من أن يحمله عدم إيمانه على الفسق ، العلماء قالوا : بين الفسق والإيمان علاقة ترابطية ، أي أن الفسق يؤدي إلى عدم الإيمان ، وعدم الإيمان يؤدي إلى الفسق ، فحينما تلبس الإنسان بأحداهما قادته إلى الثانية ، فيه فسق يرد الحق ، إذا كان يؤثر الاختلاط ، وذكرت له أن الاختلاط حرام يقول لك : لا ، هذا كلام غير صحيح .. رجل مثلث بشرب الخمر فتعلق بكلمة موضوعية في الإنجيل " أن قليلاً منه يعش الروح " ، تعلق بها ، وتعلق بآية قال : **﴿ فَاجْتَنِبْهُ ﴾** لم يقل : حُرِّم عليك ، لماذا يرد الحق ؟ لماذا يتعلق بالباطل ؟ لأنه مثلث بشرب الخمر .. **﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** .. لن تستطيع أن تعرف الحق إلا إذا تجردت عن هواك ، إذا تجردت عن الهوى هذا ثمن الحقيقة ، ثمن الحقيقة كي تعرفها أن تكون حيادياً ، أن تقبل الحق ولو كان على نفسك ، هذا الذي يأتي إلى مجلس العلم ، ويصغي للحق ، ويقول إذا جاء في مجلس العلم شيء مقصر فيه : والله الحق علي ، إن شاء الله سأتوب من هذا الذنب ، هذا صادق ، وهذا مؤهل أن يعرف الحقيقة ، ثمن الحقيقة التجرد عن الهوى ، أما من كان مثلثاً بهواه فلن يؤمن ، بل يكابر .. **﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** ، أي كل واحد منا بحاسب نفسه ، لو كان مثلثاً بمعصية ، وهناك جلسة معينة من جلسات العلم والإيمان ، رأى نفسه يرد الحق فليعرف السبب ، تلبسه بهذه المعصية حمله على رد الحق ، ولو أنه لم يؤمن ، واكتفى بالاقتقاد ، وحضر مجلس العلم ، ولم يع ما يقال فيه ، ولم يتبين ما يقال فيه ، ولم يفكر ، ولم يصدق ، ولم يحقق ، ولم يبحث بحثاً ذاتياً ، هذا التقليد الأعمى لا بد من أن يحمله على الفسق .

إذا آية خطيرة من أمهات الآيات : **﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** علاقة ترابطية ، الفسق سبب عدم الإيمان ، وعدم الإيمان سبب الفسق ، وحينما تلبس الإنسان بأحداهما قادته إلى الأخرى .

الدنيا دار تكليف والآخرة دار تشریف :

الآن : **﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾** .. قلنا في الدرس الماضي : إن الله سبحانه وتعالى بدأ الخلق ، أي خلق الأرض ، وخلق السماوات ، وخلق المجرات ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق الإنسان ، وخلق الحيوان ، وخلق النبات ، حينما بدأ الخلق تجسدت عظمته في الخلق ، تجسدت علمه في الخلق ، حينما بدأ الخلق ظهرت أسماؤه الحسنى من خلال الخلق ، ظهر عطفه ، ورحمته ، وجماله ، وعلمه ، وقدرته ، وغناه ، لكن **﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾** لماذا يعيد الله الخلق مرة ثانية ؟ لتظهر عدالته ، نحن في دار عمل وسوف نأتي إلى دار جزاء ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا سَأَلْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) ﴾

[سورة فصلت]

افعل ما سئلت ، كلُّه مسجلٌ عليك ، كلُّ من أموال الناس ما سئلت أو ترفع عنها ، انظر إلى الحرام ما سئلت أو غض بصرك ، قل الصدق أو اكذب ، افعل ما سئلت ، كلُّه مسجلٌ عليك ، أنت في دار عمل ، وسوف تردُّ دار الحساب والشقاء ، وسوف تردُّ دار الجزاء ، لذلك قالوا : الدنيا دار تكليف والآخرة دار تشریف ، للمؤمن ، ودار عذابٍ لغير المؤمن .. **﴿ اعْمَلُوا مَا سَأَلْتُمْ ﴾** ، **﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾** بدأه وسوف يعيده ، بدأه تجلَّت أسماؤه الحسنى ، وسوف يعيده ليتجلَّى عدله المطلق ، في الدنيا تجد فقيراً أو تجد غنياً ، هناك قوي وهناك ضعيف ، فيها صحيح وفيها مريض ، تجد إنساناً له زوجة مطيعة ، وتجد إنساناً له زوجة مشاكسة ، إذا انتهت الحياة بالموت

، ولا شيء بعد الموت يقول هذا الفقير : يا رب لماذا خلقتني فقيراً؟ ولماذا أغنيت فلاناً؟ ما ذنبي؟ وما ميزته؟ ويقول هذا الضعيف: لماذا خلقتني ضعيفاً؟ ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ نحن في دار امتحان ، نحن في دار ابتلاء .



إذا دخل إنسان إلى بيت فخم جداً ربع ساعة ، هل يشعر أن هذا البيت له؟ لا ، إنه جميل ، ولكنه ليس له ،

نحن في دار مؤقتة ، نحن مثلنا كمثل راكب ناقيةٍ جلس في ظل شجرةٍ فاستراح قليلاً ثم عاد وركب ومشى ، كن في الدنيا كأنك غريب ، إذا : إعادة الخلق من أجل تحقيق العدالة .. وكما قال الإمام عليّ كرم الله وجهه : الغنى والفقر بعد العرض على الله .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)﴾

[سورة آل عمران]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهٌ يُحْشَرُونَ (24)﴾

[سورة الأنفال]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنفَأْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرِ وَمَا تَتَمَتَّعُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

[سورة التوبة]

إذا : الله يبدأ الخلق ثم يعيده ، بدأه ، و عرفنا من خلال بدنه أسماءه الحسنی ، وسوف يعيده ، وسيتحقق من إعادة الخلق تتحقق عدالته المطلقة .

الله في خلقه كتابان الكون والقرآن :

ثم يقول الله عز وجل : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ اتضح من الآيتين أن الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية في القرآن الكريم بيّن أنه :

﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (3)﴾

[سورة الأطل]

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾

[سورة الشمس]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)﴾

[سورة الشمس]

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)﴾

[سورة الفرقان]

أي كان الذي ظهر أن هذا القرآن الكريم يعدل الكون ..

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77)﴾

[سورة الواقعة]

صار عندنا كما قال بعض المصلحين : إن الله في خلقه كتابين الكون والقرآن ، الله سبحانه وتعالى خلق وهدى ..

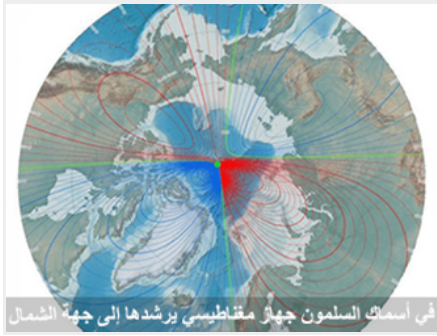
﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (50)﴾

[سورة طه]



مرّ معي أن سمكاً اسمه سمك السلمون ، يتوالد في أعالي الأنهار في أمريكا الشماليّة والجنوبيّة ،

وينتقل برحلة شاقّةٍ شاقّةٍ إلى المحيط الأطلسي ، إلى سواحل فرنسا ، ثم يعود أدرجه إلى مسقط رأسه هناك ، وضع مركزٌ بحوث لبعض الأسماك أو لأعدادٍ وفيرة منها قطعاً معدنيّة مسجل عليها تاريخ ، هذه الأسماك بعد أشهر عادت إلى مسقط رأسها ، الشيء الذي يُحَيّر العقل أن هذه الأسماك وهي في المحيط الأطلسي كيف عرفت طريق العودة إلى مسقط رأسها ؟ لو أنها انحرفت درجة واحدة لجاءت في مصبّ نهر آخر ، لو أنّها انحرفت درجتين لجاءت في أمريكا الجنوبيّة بدل الشماليّة ، هل معها بوصلة ؟ معها خرائط ؟ معها إشارات ؟ هل معها اتصال لاسلكي مع مراكز التوجيه البحري ؟ كيف عرفت طريقها ؟ بعض العلماء أخذوا بعض الأسماك وحملوها إلى مصبّ بعض الأنهار في أوروبا وهي صغيرة ، حينما كبرت سارت إلى الأطلسي ، وعادت إلى أمريكا ، لا يزال هذا سرّاً ، ما الذي يسيّر هذه السمكة ؟ شيء يعجز عنه علماء البحار ، يعجز



عنه المتخصّصون ،

يعجز عنه ربابنة السفن ، وأنت على سواحل فرنسا تحت البحر لا ترى شيئاً ،

تتجه إلى مصبّ الأمازون ؟! هذا من هداية الله عزّ وجل ، هذه الظاهرة لا تُفسّر إلا بالقرآن .. ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

الحيوان هداه إلى طعامه ، هداه إلى شرايه ، هداه إلى دوائه ، قد يُصاب الحيوان بمرض ، يذهب إلى البستان يبحث عن حشيشةٍ بعينها فيأكلها فيشفى ، هداه إلى طعامه ، هداه إلى شرايه ، هداه إلى طريقة تولده ، هداه إلى أنثاه ، هداه إلى كل شيء ، لكن الإنسان أعطاه الفكر ، وبالفكر ارتقى الإنسان ، والإنسان هداه إليه ، الحيوان هداه إلى طعامه وشرايه ، لكن الإنسان هداه إليه عن طريق الكون ، ثم عن طريق ماذا ؟ عن طريق الأنبياء ، وعن طريق الكتب ، وعن طريق ورثة الأنبياء - الدعاة إلى الله - وعن طريق المصائب ، وعن طريق الضيق ، وعن طريق الغنى ، وعن طريق الفقر ، وعن طريق المرض ، وعن طريق الصحة :

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (7)﴾

[سورة الرعد]



والله شديد المحال ، إذا : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَتَى تَوَفُّوهُمْ (34) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ ؟ أي هذا الصنم الذي لا يستطيع الحركة من تلقاء نفسه هذا يهديكم ؟!

الابتعاد عن معصية الإله خالق كل شيء :

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ .. خطر في بالي أحياناً الطالب علاماته لا تؤهله لدراسة الطب في جامعة دمشق ، ولكن تؤهله ليدرس الطب في حلب أو الهندسة في الشام فيحتمل ، يعمل موازنات ، طب أم هندسة ؟ هما قرينان من بعضهما ، الطب في حلب ، الطب أرقى لكن في حلب ، يجب أن يستأجر غرفة ، يريد أن يأكل وحده ، عليه أعباء المعيشة ، يوجد مصروف كبير ، لكن لو أن أحداً خبيراً وبين أن يكون طبيباً أو بين أن يكون بمهنة دنيا جداً ، تأخذ مليون ليرة أم تأخذ مليون ضريبة ؟ هذه لا تحتاج إلى وقفة ؟ تأخذ مليون ليرة ذهبية أم تأكل مليون ضريبة ؟ هذا ليس بخيار ، لكنه شيء بديهي ، فالخيار بين الإيمان وعدم الإيمان ، أي بين السعادة والشقاء ، بين الخلود في الجنة ونعيمها وبين الخلود في النار وجحيمها ، بين أن تكون مهتدياً وبين أن تكون ضالاً ، بين أن تكون مستبصراً وبين أن تكون ضائعاً ، بين أن تكون مطمئناً وبين أن تكون خائفاً ، بين أن تكون عزيزاً وبين أن تكون ذليلاً ، بين أن تكون موقفاً وبين أن تكون الأمور كلها معسرة ، بين أن يحبك الله وبين أن تسقط من عين الله ، لا يوجد نسبة **﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** .. كيف يستطيع الإنسان أن ينام وهو على معصية ؟ كيف يعصي الإله خالق الكون ؟ لا تنتظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت ، كيف تجحد فضل الله عز وجل ؟ كيف



تجحد هذه النعم ؟ نعمة البصر هل عرفت من خلق البصر ؟

من خلق السمع ؟ من خلق الشم ؟ من خلق

لا تنتظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت

ربع مليون شعرة في رأسك ، لكل شعرة وريد وشريان ، وعصب وعضلة ، وغدة دهنية ، وغدة صبيغية ؟ هل تعرف من خلق في أنفك عشرة ملايين عصب شمّي ؟ هل تعرف من خلق هذه العين وجعل في شبكيّتها مئة وثلاثين مليون مخروطاً ؟ هل عرفت من خلق الأذن ؟ خلق أذنين لتعرف مصدر الصوت من الصيوان ، إلى القناة الأذنية ، إلى غشاء الطبل ، إلى الأذن الوسطى ، إلى الداخلية ، إلى قنوات التوازن ، من خلق العظام وأعطاهما حداً ، لو أن الأسنان تنمو بازدياد ماذا يحدث ؟ هو القابض والباسط ، أعطى هذه الأسنان نمواً ، ثم أوقفها عند حدّها ، أعطى هذه العظام نمواً ، ثم أوقفها عند حدّها ، من أمر العظام أن تتقف عن النمو ؟ بعض الأطباء قال لي : خطوهي مرسوم في الفراغ ، إذا العظم وصل إليه يقف عن النمو ، شيء مضحك والله ، خطوهي مرسوم في الفراغ إذا وصل نمو العظم إليه توقّف عن متابعة النمو ، لا ، هذا غلط ، الصواب القابض والباسط ، الجامع والمانع ، فالإنسان إذا تأمل في هذا الكون يرى :

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

والله كل شيء كأنه ينطق ويقول : أنا دليلٌ على عظمة الله ، من طعامك ، إلى شربك ، إلى ابنك ، إلى كأس الماء ، إلى كأس الحليب ، إلى الجبل ، إلى البحر ، إلى السمك ، إلى الطير ..

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

فإنه سبحانه وتعالى بقدر ما هو خالق عظيم بقدر ما هو هادٍ حكيم ، هناك في كل شيء .. **﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** أي إذا كنت محتاراً أتدخل كلية الطب أم كلية الهندسة معك حق ، الطب في حلب والهندسة في دمشق ، أي يوجد وجهة نظر ، أنت محتار بين أن تفتح محل أقمشة أم ملابس جاهزة ، لكن تأخذ مليوناً أو تُضرب مليون ضريبة ؟! من غير المعقول أن تقول : والله أنا محتاج أن أفكر قليلاً ، اتركوني لأفكر ، **﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** كيف الإنسان راض بالدنيا ؟!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

[سورة التوبة]

هل تقبلون فيها أنتم ؟ شاب أبوه ملك قال له : يا بني اطلب وتمنى ، فقال له : أريد مخاية حبر ، فقط ؟ طلب الدنيا واكتفى بها ، لو طلب بختاً سيعطيه ، لو طلب أكبر قصر سيعطيه إياه ، ولكنه طلب محاية ، قلم بيبك ناشف فقط ، أكثر لا يريد .

الابتعاد عن الظن لأن معظم الناس عقاندهم وتصوراتهم مبنية على الظن :

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (35) وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ..



أي معظم الناس عقاندهم ظن ، تصوراتهم ظن ، منطلقاتهم ظن ، أهدافهم ظن ، أي يتوهم السعادة

بالمال هذا ظن ، المال لا يُسعد ، يتوهمها بالنساء ، النساء لا تُسعد ، يتوهمها بالبيت الفخم ، ربّ كوخ حقير صاحبه أسعد الورى ، اللهم صلّ عليه كان إذا صلّى قيام الليل رفعت السيدة عائشة رجليها لأن الغرفة لا تتسع لنومها وصلاته ، ودخل عليه عدّي بن حاتم فتناول اللهم صلّ عليه وسادة من أدم محشوة ليفاً ، قال لعدّي بن حاتم : **اجلس على هذه** ، قال له : بل أنت ، قال : **بل أنت** ، قال عدي : فجلست عليها ، وجلس رسول الله على الأرض ، ليس عنده غير وسادة واحدة ، ومع ذلك كان سيّد الخلق وحبيب الحق ، الله عزّ وجل ما أقسم إلا بحياته ، قال :

{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)}

[سورة الحجر]

قال له :

{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)}

[سورة القلم]

سيدنا الصديق .. جاء سيدنا جبريل وقال للنبي عليه الصلاة والسلام : قل لصاحبك : إن الله راضٍ عليه فهل هو راضٍ عن الله ؟ ، سيدنا الصديق لم يتحمّل الكلمة ، مجالات الإيمان لا يعرفها إلا من ذاقها ، الإنسان أحياناً يقيم علاقة مع إنسان من طبيئته ، إنسان يفنى يعنز بهذه العلاقة .

فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميث

[***]

عندما يصير للإنسان وجهة إلى الله عزّ وجل تحدث له صلة حقيقية ، إقبال حقيقي ..

لا يعرف ما نقول إلا من اقتفى أثر الرسول

هذا مثل من يقول لآخر : صف لنا طعم العسل ؟ صعب والله ، ذقه فقط ، من ذاق عرف ، استقم استقامة تامّة ، وقدم أعمالاً صالحة لوجه الله عزّ وجل ، خالصة من كل شائبة ، ثم تعال وقل لي ماذا حدث لك ، تعال وقل لي أي سعادة عشت ؟ وكيف اطمأنت ؟ وكيف نزل الله على قلبك السكينة ؟ وكيف يسرّ لك الأمور ؟ وكيف أصلح لك بيتك ؟ وكيف أصلح لك جسدك ؟ وكيف أصلح لك معيشتك ؟ وكيف أكرمك في الدنيا قبل الآخرة ؟

((أوحى الله تعالى إلى موسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد ، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك .))

[ابن القيم في مدارج السالكين ما ثبت : ولم يعلق عليه ولم يزد على هذا]

{ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا } شخص يعتقد أن المسرحية مثلاً تهذب النفوس ، هذا ظن ، وآخر يعتقد أن



الاختلاط يهذب المشاعر ، وثالث يعتقد أن الموت نهاية الحياة ، لا يوجد شيء ، وآخر يعتقد أن الدرهم مرهم .. وكل إنسان يتصوّر فكرة متوهماً أيّاًها أنها حقيقة وهو يظنها ظناً ، هذه مصيبة كبيرة ، إذا كان الإنسان على وشك الموت عطشاً ، وتوهم الماء بجهة معينة ، وذهب إلى هذا المكان فمات هناك عطشاً ، بين أن تكون متأكداً من وجود الماء وبين أن تكون واهماً ، قضية موت أو حياة ، إذا بقي لحياته ربع ساعة ، وقالوا له : في هذه الجهة يوجد ماء ، لكنه ليس متأكداً ، هل يستهلك هذه الربع ساعة في مسير إلى مكان

غير مؤكّد؟ يكون قد غامر بحياته، لكن إذا كان متأكّداً أن هنا يوجد ماء، وذهب إليه فهو على حق .

﴿ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ أحياناً الطالب يتوهم أنهم قالوا: إن الأستاذ الفلاني يعطي الأسئلة، ولكن ليس الآن، بل قبل الامتحان بأسبوع، لا يدرس أبداً، هل هذه الفكرة صحيحة؟ لو أنها كانت صحيحة لقبلنا بها، أي معقولة، أما إذا كانت غير صحيحة لم يدرس إطلاقاً، أمضى السنة كلها باللعب والتسلية، وكان مقبلاً على فحص بكالوريا، وفيها يتحقق مصيره، وقبل الامتحان بأسبوع طرق الباب فطُرد، أليس قد غامر بمستقبله؟ لأنه ظن، لأن طالباً قال له: إن الأستاذ يعطي الأسئلة، لكن هذا ظن.. ﴿ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ﴾، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾، هذا ظن، هذه دعوى ..

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَدَأُوا كَلِمًا تَتَرَفُّونَ بِهَا أَنْتُمْ بِئْسَ تَصَافِرُ ﴾ وَلَمَّا يَنْزِلُ السَّمَاءُ سَاقِطًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُفِّجَ بِهِ السُّجُوتَ وَالنَّخْلَ وَالشَّجَرَ الْمَاتِةَ لِيَخْرِجَ بِهِ لَبَنًا مَذْجَابًا وَيُقَدِّسُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مَلِكٌ سَمِيعٌ ﴿ 18 ﴾

[سورة المائدة]

﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (80)

[سورة البقرة]

كذلك هذا ظن، افعل ما شئت فالنبي عليه الصلاة والسلام سيشفع لك، هكذا تفهم الشفاعة أنت؟ هذا فهم خاطئ للشفاعة، الشفاعة حق، ولكن لها معنى أرقى من هذا، لا يشفع النبي لمن ترك الحق، وأدار ظهره له، لكن من تبع النبي، من تبع سنّته يشفع له .
شاب دخل الجامعة يقيمون له كتباً وطعاماً وشراباً ومكتبات .

القرآن الكريم كتاب الله ولا يمكن لبشر كائناً من كان أن يأتي بمثله :

﴿ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (36) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ...



أولاً : كلمة ﴿ وَمَا كَانَ ﴾ دقيقة جداً، تقول مثلاً: الحديد لم يصدأ، عندك قطعة حديد تأملتُها لم تصدأ،

لكن الصدأ من خصائص الحديد، تقول: لم تصدأ، ولكنك إذا أمسكت قطعة ذهب فماذا تقول؟ ما كان لها أن تصدأ، هناك فرق بين أن تقول: لم تصدأ، وبين ما كان لها أن تصدأ لأن من طبيعة الحديد الصدأ، ولظروف خاصّة كانت في مكان جاف لم تصدأ، أما الذهب ما كان له أن يصدأ، ليس من شأنه الصدأ، ليس من خصائصه الصدأ، لذلك قالوا: هذه العبارة حينما وردت في كتاب الله فإنها تنفي الشأن لا تنفي الحدث، تقول على إنسان: لم يسرق، أما إذا إنسان من عليّة القوم فقول: ما كان له أن يسرق ..

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (33)

[سورة الأأنفال]

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْتُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (70)

[سورة التوبة]

لا تنفي الحدث، ولكن تنفي الشأن، أي أبلغ أنواع النفي في كتاب الله صيغة ما كان، لأنها تنفي الإرادة، والاستعداد، والإمكانية، والشأن، والرغبة، والحدث ... مثلاً: شخص يحمل دكتوراه في الرياضيات فقلت له: اثنان وثلاثة؟ فسكت، تقول: لا يعرف، لا، نقول لك: ما كان له أن يجهد هذه الحقيقة، لكن سكوتة له معنى، اثنان وثلاثة لا يعرفها وهو يحمل دكتوراه بالرياضيات؟ ما كان له إلا أن يعرف، قال: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ..

أنا في الأسبوع الماضي بحثت عن مثل يوضّح هذه الفكرة: لو فرضنا أن واحداً لم يرب طائرة في حياته، ولا صورتها، ولا ركب فيها، ولا يعرف شيئاً عن إمكانياتها أبداً، لكنه رأى طفلاً قد صنع طائرة من ورق، وسحبها في الهواء، دخل هذا إلى محل حدادة عبارة عن مترين بمترين، قال له صاحب المحل: هذه الطائرة الحديثة الفلانية، التي تتسع لستمئة ركب نفائة، أنا اصنعها في هذا المحل، مادام هذا الإنسان لم يرب الطائرة بصديق، لكن لو ركب الطائرة، ورأى حجمها، ورأى أن علم البشرية كله مجموع فيها، ستمئة ركب بمدينة طائرة، طعام وشراب، وهيدروليك، وأجهزة، وادارات، شيء عجيب في الطائرة، هل يمكن لإنسان ركب طائرة كبيرة نفائة من أحدث الطائرات أن يصيّق أنها صنعت في محل متواضع في أحد أسواق دمشق؟ مستحيل، لو عرف الطائرة ما صدّقت هذا الكلام، هذا المثل تقربيبي .



لو أننا قرأنا هذا القرآن ، و عرفنا ما فيه من تشريع اجتماعي ، ما فيه من حقائق ، ما فيه من ذكر

للأولين ، ما فيه من ذكر ليوم القيامة ، ما فيه من نظام الطلاق ، من نظام الميراث ، من نظام الزواج ، من نظام البيوع ، ما فيه من حقائق ، من مشاهد ، من تاريخ ، ما فيه من طُرُق إلى الله عزَّ وجل ، ما فيه من سنن ، لو عرفت مضمونه تقول : لا يمكن لبشر كائناً من كان أن يأتي بمثله ، إذا ركبت الطائرة ترفض هذه المقولة ، فإذا لم تتركها ، ولم ترها ، ولم تسمع بها ، وقيل لك : إن هذا القرآن من صنع محمد كان عبقرياً فذاً ، كان ذكياً ، جمع العرب بهذا القرآن ، إن لم تقرأه قد تقول : هذا الكلام صحيح ، أما إذا قرأته تقول : هذا ليس من صنع بشر ..

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ انظر إلى كلمة من دون الله هل تعلم أن الكون كله من دون الله ؟ دع عنك الجمادات ، ودع عنك الحيوانات ، لا تعقل ، والنباتات ، بقي الإنسان والجن ..

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (88)

[سورة الإسراء]

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ مستحيل ، لو أننا قرأناه ، أي العنكبوت التي تنسج البيت هي أنثى العنكبوت ، النبي الكريم اللهم صل عليه هل درس علم الحيوان ، وعرف أن العنكبوت ذكر وأنثى ، والأنثى هي التي تنسج البيت ؟ لا أعتقد ، الله عزَّ وجل قال :



﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (41)

[سورة العنكبوت]

الله عزَّ وجل حينما ذكر العنكبوت استعمل تاء التأنيث ، معنى هذا أن من ينسج بيت العنكبوت هي الأنثى . الحوت ، قال لي بعض الإخوة : إن المريء في الحوت على عظم الحوت لا يتسع لمرور الإنسان لأنه ضيق ، ربنا عزَّ وجل قال :



﴿ فَالتَقَمَهُ الْحُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (142)

[سورة الصافات]

لم يقل: فابتلعه، أي بقي سيدنا يونس لقمة في فمه، ولم يصل إلى جوفه، النبي الكريم شرَّح الحوت؟ رأى الجهاز الهضمي للحوت؟ عرف ضيق المريء؟ هذا كلام الله، إذا صعد الإنسان في الفضاء الخارجي يشعر بضيق النفس، وهذا جاء في كتاب الله، أي هذا القرآن إلى الآن شيئاً ليس من السهل أن كتاباً قبل ألف وأربعمئة عام، العلم تقدّم تقدماً مذهلاً، حتى هذه الساعة لم يحدث أن اكتشف العلماء حقيقة تناقضت مع كتاب الله، هذا مما يؤكد أنه من عند الله، من عند خالق الكون.. ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مستحيل..

القرآن الكريم فيه كل شيء فهو دستور للبشر:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَعْتَمْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانظُرُوا لَا تَتَّقُونَ إِلَّا بَسُلْطَانَ (33)﴾

[سورة الرحمن]

لماذا بدأ الله بالجن؟

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)﴾

[سورة الإسراء]

لماذا بدأ بالإنس؟ لأن هذا كلام رب، قال: لأن الإنس أقدر على البيان من الجن، والجن أقدر على خرق السموات من الإنس..

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَتَهُدَّ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)﴾

[سورة النور]

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)﴾

[سورة المائدة]

لماذا بدأ هنا بالزانية؟ قال: لأنها أقدر على الزنا من الزاني، ولماذا بدأ هنا بالسارق؟ لأنه أقدر على السرقة من السارقة، من المرأة.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنََهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ هُوَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾

[سورة التوبة]

ربنا عز وجل ذكر الأقرباء في هذه الآية لكنه بدأها بالأب، وفي موطن آخر قال:

﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ

الْمَأَبِ (14)﴾

[سورة آل عمران]

بدأ بالنساء، وفي موطن ثالث:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35)﴾

[سورة عبس]

بدأ بالأخ، وفي موطن رابع بدأ بالابن:

﴿يُبَيِّنُ وَنُهُمْ يَوْمَ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ (11)﴾

[سورة المعارج]

بدأ بالابن، هذا كلام الله، في كل موطن قدّم الله سبحانه وتعالى الشيء المهم، في موطن اعترز الإنسان الاجتماعي قدّم الأب ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾، في موطن الشهوة قدّم المرأة ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ في موطن الاستجداد قدّم الأخ، لأن الأب كبير والابن صغير، أقرب إنسان إليك أخوك، في موطن الفدية أعلى شيء الابن قدّم الابن، هذا كلام الله، في ثماني عشرة آية قدّم الله سبحانه وتعالى السمع على البصر، لأن العلم اكتشف أن استجابة السمع قبل استجابة البصر، أي أن الجنين يستجيب للصوت وهو في بطن أمه، لكن الطفل المولود حديثاً لا يستجيب للضوء إلا بعد أيام ثلاث.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (78)﴾

[سورة المؤمنون]

إلا في آية واحدة عبّرت عن أن سرعة الضوء أكثر من سرعة الصوت..

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)﴾

[سورة السجدة]

ليس سمعنا وأبصرنا ، في ثمانية مواطن قدّم الله بذل المال على بذل النفس ، لأنه أيسر ، بذل المال أهون من بذل النفس ، وفي آية واحدة قدّم الله بذل النفس على بذل المال ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيزُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾

[سورة الصف]

في ثمانية مواطن قدّم المال على النفس ، وفي مواطن واحد ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنُبِيِّكُمُ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)﴾

[سورة التوبة]



في مواطن البيع القطعي قدّم الأهم على المهم ، في القرآن الكريم ذُكرت كلمة (اليوم) ثلاثمئة وخمسة

وستين مرّة ، وذكر الشهر اثنتا عشرة مرّة ، هل هذا صدفة؟ آيات الجنة تعادل في عددها آيات النار ، آيات الدنيا تساوي آيات الآخرة ، آيات الملائكة تساوي آيات الشياطين ، شيء عجيب ، في القرآن يوجد إعجاز حسابي ، وفيه إعجاز رياضي ، وفيه إعجاز بلاغي ، وفيه إعجاز تشريعي ، وفيه إعجاز علمي ، ما من حقيقة علمية إلا وذكر القرآن أصولها ، لم ينظر قو للتفصيلات لأنه كتاب هداية وإرشاد ، لكن أصول العلم ، الآن أصول العلاقة الزوجية مذكورة في القرآن ، ذكر الله عز وجل أن الزوجة من آيات الله ، وجعل القومة للأزواج لسببين : أنه أعلى منها عقلاً وأفكاراً وإرادة وتصميماً وخلقاً ، ولأنه أنفق من ماله ، فقال الله عز وجل :

﴿ وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَضَّنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)﴾

[سورة التوبة]

درجة واحدة ، أي ينبغي أن يكون الرجل فوق المرأة بدرجة واحدة ، أي أصول العلاقة الزوجية الصحيحة في القرآن موجودة ، أصول البيع والشراء في القرآن ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29)﴾

[سورة النساء]

إذا كان هذا المشتري يعرف أن هذا البائع مستحکم ، وأخذ منه المئة ثلاثمئة ربحاً فهذا الشاري هو راضٍ ؟ يقول لك البائع : أخي هو قَبِل ، نعم لكنه قَبِل مضطراً ، هذا اسمه استغلال ، لو كتبت رأس المال للشاري هل يرضى ؟ مقياس البيع الشرعي الرضا .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29)﴾

[سورة النساء]

لو دققت في كتاب الله تجد أن فيه نواح ترويحية ، فيه كنايات لطيفة جداً ، علمنا الأدب في التعبير ، كما أن فيه نواح أخلاقية ..

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

[سورة النمل]

﴿ وَخُذْ بِبَيْدِكَ ضِغْتًا فاضرب به ولا تحنث إنما وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب (44)﴾

[سورة قصص]

﴿ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30)﴾ يوجد نواح تشريعية ، ونواح شخصية ، علاقات زوجية ، علاقة الآباء بالأبناء ، لو دققت في القرآن الكريم لرأيت فيه كل شيء ، لأن الله سبحانه وتعالى جعله دستوراً للبشر .

القرآن صدق ما جاء به الأنبياء السابقون ومجيبه تصديق لما في كتبهم :

إِذَا : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .. سيدنا موسى وسيدنا عيسى ورد في التوراة والإنجيل ذكر النبي عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (6)

[سورة الصف]

فجاء النبي عليه الصلاة والسلام ، فكان مجيئه تصديقاً لما جاء في التوراة والإنجيل ، هذا المعنى الأول .
المعنى الثاني : ولكن تصديق الكتاب ، المعنى الثاني أن ما جاء في القرآن يؤكد ما جاء في الإنجيل والتوراة ، لأن الكتب السماوية الثلاث من عند الله ، إله واحد ، والتشريع واحد ، لكن إذا وجدنا في القرآن الكريم تفصيلات لم ترد في التوراة والإنجيل فهذا مما ذكره الله عز وجل ، هذا من حكمته ، أي بحسب تعقد الحياة ، بحسب ظهور مشكلات لم تكن ظاهرة من قبل ، فجاء التشريع مقتضياً مرة ، ومفصلاً مرة أخرى ..
﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فالقرآن صدق ما جاء به الأنبياء السابقون ، ومجيئه تصديقاً لما في كتبهم ، وكلام النبي عليه الصلاة والسلام يصدق أن هذا الكلام من عند الله ، أي أنه قمة في الكمال ، فقد قال سيدنا جعفر للنجاشي :

((أيها الملك كنا قوم أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف - هذه الجاهلية قبل الإسلام - فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه - من نسل إبراهيم - وصدقته ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لتوحيده ، ولنعبيده ، ونخلص ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه ، وأمنابه ، واتبعناه على ما جاء به ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعدبونا .))

[إسناده صحيح أخرجه أحمد (1740) باختلاف يسير ، أبو نعيم في (حلية الأولياء) (1/115) مختصراً]

على كل إذا : ﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ بعضهم قال : الكتاب إذا ذكرت تعني الكتب السماوية كلها ، فما جاء في الكتب السابقة مختصراً جاء في القرآن الكريم مفصلاً .

القرآن الكريم كمال مطلق لأنه من الله عز وجل :

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه من الله عز وجل ، وأن فيه الكمال المطلق ، لا يأتيه الباطل ، لا يأتيه الإنسان إلا وفيه غلط ، قد يكون صغيراً أو كبيراً لكن الكتاب الذي لا ريب فيه هو القرآن الكريم .. ﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ 37) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿

أنتم تقولون : إن محمداً صلى الله عليه وسلم افتقر بهذا القرآن كله ، الله سبحانه وتعالى يتحداهم أن يأتيوا بسورة أو واحدة من عندهم تضاهي هذا الكتاب .
الآية الثانية التي لها علاقة بهذه الآية : ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ إِلَّا نَسْ وَ الْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ 88) أي مستحيل ﴿ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي اجمعوا كل من تستطيعون لتتعاونوا على صنع آية إنكم لن تحققوا هدفكم .

والحمد لله رب العالمين